**(التخلف والجامعة)**

يمكن القول وبصورة عامة ،أنه إذا ما حلل التخلف الى عناصره الاساسية تحليلاً علمياً دقيقاً، وَقُيم تقييماً موضوعياً لمعرفة أثر ووزن كل عُنصر من هذه العناصر لوجد ، وبدون أدنى شك أو صعوبة ، أن الانسان بمعرفته ومفاهيمه وقيمه ومثله وعاداته وتقاليده وأسلوب تفكيره وسلوكه ، هو بصورة رئيسية أساس التخلف ،وهو سبب وجوده واستمراره ،فاذا كانت هذه الامور متخلفة فهذا الانسان متخلف وبالتالي هذا المجتمع متخلف والعكس صحيح.

العبارة التي تقول بأن الانسان ،بكل ما يمثل ويتمثل ، هو السبب الرئيسي للتقدم والتخلف حقيقة تدعمها دراسات كثيرة وشاملة وعلى اساس هذه الحقيقة ، أن الفرق الرئيسي بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ، هو فرق بين الانسان في هذه المجتمعات . وهذا الفرق لا يقاس بما يملك هذا الانسان من أبنية فخمة وبنى تحتية متطورة ، وما عنده من ثروات مالية أو ما يستخدمه ومفاهيم وقيم ومثل وعادات وتقاليد وأساليب تفكير وسلوك . فقد استطاع الانسان الالماني مثلاً بما عنده من معرفه ومفاهيم وقيم ومثل وعادات وأساليب وتفكير وأنماط وسلوك ، أن يعيد بناء الدولة الالمانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، بالرغم من تدمير جميع مرافقها الاقتصادية ومؤسساتها . وقد استطاع هذا الانسان أن يجعل الدولة الالمانية تقف في مقدمة الدول المتقدمة في العالم ،لابل جعلها تتقدم على أغلب الدول التي هدفها . وكذلك القول ينطبق على الانسان الياباني وغيره من الشعوب الحية.

أن واقع بعض الدول المتخلفة الغنية هو خير مثال يوضح أهمية وقيمة الانسان في صنع التقدم والتخلف . فبعض هذه الدول ، وبما تمتلكه من ثروات طائلة ، استطاعت أن تستورد كل منجزات التقدم المادية المعاصرة من وسائل وأدوات ومواد ، إلا أن كل هذا لم يغير كثيراً من واقع التخلف الذي تعيشه .وإذا كان أساس التحديات التي تواجه الامه العربية ، هو التخلف بأبعاده وأشكاله المختلفة ، وإذا كان الانسان وبكل ما يمثل ويتمثل هو العنصر الرئيسي في هذا التخلف ، فأن السبيل الوحيد الذي لابد منه للتصدي لهذه التحديات هو تطوير هذا الانسان ونقله من واقع التخلف بكل جوانبه وقيوده الى واقع التقدم بكل أبعاده وآفاقه ، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ومع أن تطور الانسان من الامور المعقدة و الصعبة ، إلا أنه من الامور الممكنة، وذلك من خلال تنظيم وتوجيه العوائل التي تشكل هذا الانسان وتطور معرفته ومفاهيمه ومثله وعاداته وتقاليده وأساليب تفكيره وسلوكه . ويتم ذلك من خلال تطوير المؤسسة التربوية بجميع أبعادها، وعلى وجه التحديد إذا كان التخلف هو العلة الأساسية التي تعاني منها الامه العربية ، فأن التربية بمعناها العام وبوسائلها وأساليبها المختلفة ، هي الدواء الأساسي لهذه العلة ولا يوجد دواء حاسم لهذه العلة غير هذا الدواء .

ان لكل نوع ومرحلة وشكل من أنواع ومراحل وأشكال التربية ، دوراً له قيمته النسبية في تطوير الانسان وتغييره وبالتالي في مواجهة التخلف وتحقيق التقدم . إلا أن للجامعة أهميتها الخاصة في عملية التطوير والتغيير . وهذه الاهمية تفرضها مكانة الجامعة في المؤسسة التربوية وبالتالي موقعها في المجتمع وطبيعة دورها الخاص والمتميز في خدمته ـ فالجامعة تحتضن عادة ، أكبر مجموعة من أبناء المجتمع ذوي التأهيل العالي والتخصص المتميز والخبرة العميقة والواسعة في جميع المجالات ـ والجامعة بذلك تكوَن ما يمكن أن نطلق عليه القيادة الفكرية العلمية العليا للمجتمع . وبالنسبة لمؤسسات المجتمع المختلفة ، فتلعب الكلية أو المعهد المختص في أية مؤسسة أو قطاع دور القيادة الفكرية لهذه المؤسسة ، فعلى سبيل المثال ، فأن كلية الطب هي القيادة الفكرية للمؤسسة الطبية في المجتمع .

ولا تنحصر مسؤولية القيادة الفكرية العليا للجامعة في مجال المرجعية المعرفية والمتخصصة ، بل تشمل أيضاً التقييم المستمر لواقع المجتمع وواقع مؤسساته ، كما تشمل المشاركة الفاعلة في وضع خطط التطوير والتنمية والتغيير ومتابعة تنفيذها كما تشمل الافكار والنظريات والابداعات الجديدة في مختلف مجالات الآداب والعلوم والفنون .

والجامعة مسؤولة عن اعداد القيادات الفكرية والعلمية والادبية والفنية والمهنية ، بمختلف مستوياتها ولجميع مؤسسات المجتمع وقطاعات هذه المؤسسات ومرافقها، أن أثر هذه القيادات لا ينحصر في كفاية أداء قطاعات ومرافق المؤسسات وظائفها بل يشمل فيما يشمل أيضاً تطوير هذه المؤسسات ونمائها وتكييف دورها لمواجهة المسؤوليات والوظائف والقضايا المستجدة ، لذلك لا يمكن احداث تغيير عميق وشامل في المجتمع مالم تتوافر فيه قيادات مؤهلة أكاديمياً وفنياً مؤمنة بالتغيير والتطوير وقادرة على أدائه بخلق وأمانه ومسؤولية .

والجامعة ،وبحكم وظيفتها وتقاليدها ، تعتبر مسؤولة بشكل اساسي عن اجراء البحوث والقيام بالدراسات في جميع مجالات الحياة وفي جميع مجالات المعرفة ، هذه المسؤولية تعطي الجامعة أهمية خاصة ، فالتطور أو التغيير المطلوب لا يمكن أن يتحقق إلا على أساس بحوث ودراسات فنتائج هذه البحوث والدراسات هي التي توجه التغيير وتنظمه وتقيمه وتتابعه ،هذا من جهة ،ومن جهة اخرى ، تلعب البحوث والدراسات الدور الاول في معالجة مشاكل المجتمع وقضاياه . وللجامعة وظيفة أخرى وهي تقديم خدمات نموذجية علمية مباشرة للمجتمع من خلال أعضاء هيئة التدريس وطلبتها وبالاستعانة بمرافقها المختلفة ، وعلى سبيل المثال الخدمات الطبية لكلية الطب بمستشفياتها وعياداتها ومختبراتها وكلية الهندسة في الاستشارات الهندسية ، ومراكز البحوث والدراسات تخدم المجتمع بما يطلبه منها من معلومات .

**م.م مالك مطلك**